المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579
مجلة اريكتيس للسوسيولوجية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)

The Image and Status of the Religiously Different Within Written Religious Discourse
An Analysis of Qur'anic Discourse and the Sunni Perspective on Religious Occasions for the Religiously Different: "The Models of Congratulations and Condolences"*

ELAYACHI DOGHMI[1]; HAKIMA LAALA[2]
UNIVERSITY HASSAN II CASABLANCA
Email 1 : elayachi.doghmi@gmail.com
Email 2 : elayachi.doghmi-etu@etu.univh2c.ma

Abstract: This study aims to elucidate the foundations that define and shape the attitude of young Moroccan Muslims towards those of Religiously different, based on a bibliographic exploration that included the Qur'an, Hadiths from the Sunnah, and the positions of the main imams of the four Sunni schools of thought. It is guided by a central question: What is the nature of the Qur'an's, the Prophetic Hadith's, and the 'Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah's stance towards those of Religiously different?

In conducting the research, we adopted a methodological approach combining both quantitative and qualitative methods. The quantitative aspect relied on statistical work using a digital tool (the digital Muhammad Qur'an in the "Warsh" narration QM 1.0.8) to determine the frequency and prevalence of concepts related to the status of the Religiously different in the Qur'an. The qualitative aspect was based on a pragmatic linguistic analytical approach to the content of the discourse, through which we aimed to decode religious discourse concerning those of Religiously different. The study sample included various surahs and Qur'anic verses that discuss people of Religiously different, describing their status and outlining how they should be treated. It also included key Prophetic Hadiths, as well as the positions and interpretations of the main imams of the four Sunni schools, focusing specifically on how they guide Muslims in interacting with non-Muslims during religious occasions, such as greetings and condolences. In our research, we concluded that religious discourse clearly distinguishes between Muslims and non-Muslims, providing a vast database that describes the situation of the latter, and identifies and differentiates between the social and religious contexts in which dealing with them is acceptable and permitted or forbidden and prohibited.

Keywords: Religious discourse, religious identity, religiously different, condolences, congratulations.

* This study is a bibliographical exploration of the foundations and premises upon which religious Moroccan youth represent their religious identity and that of others who are religiously different. It is a work that complements and explains a previous field study entitled: " **The religious identity of Moroccan youth and their attitude towards Religiously different on Facebook**." (See: Laala, H. El Ayachi, D. (2025, March). The religious identity of Moroccan youth and their attitude towards Religiously different on Facebook. Journal of African and Nile Basin Studies. Vol. 7, No. 30. Retrieved from the following link: https://democraticac.de/?p=103761).

[1] PhD candidate – Hassan II University – Faculty of Arts and Humanities, Mohammedia – Laboratory of Sociological, Psychological, and Cultural Research, Morocco.
[2] Professor of Sociology – Hassan II University – Faculty of Arts and Humanities, Mohammedia – Department of Sociology. Director of the Laboratory for Sociological, Psychological, and Cultural Research, Morocco. Email: hakima.laala@etu.univh2c.ma .

المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579

مجلة اريكتيس للسوسيولوجية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)

صورة ووضع المختلف دينيا ضمن الخطاب الديني المكتوب
تحليل للخطاب القرآني، والموقف السني من المناسبات الدينية للمختلف دينيا: "نموذجي التهنئة والتعزية"[3]

العياشي الدغمي[4]؛ حكيمة لعلا[5]
جامعة الحسن الثاني - الدار البيضاء ؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المحمدية
الايميل1: elayachi.doghmi@gmail.com
الايميل 2: elayachi.doghmi-etu@etu.univh2c.ma

ملخص: تهدف هذه الدراسة استجلاء المنطلقات التي تحدد وتبني موقف الشباب المغربي المسلم من المختلف دينيا، بناء على تنقيب بيبليوغرافي شمل القرآن، وأحاديث من السنة، ومواقف لأهم أئمة المذاهب السنية الأربع. موجهين بسؤال مركزي هو: ما طبيعة موقف القرآن والحديث النبوي و « أهل السنة والجماعة » من المختلف دينيا ؟

اعتمدنا في إنجاز البحث مقاربة منهجية تزاوج بين الكمي والكيفي ؛ ارتكز الشق الكمي على عمل إحصائي باعتماد التطبيق الرقمي (المصحف المحمدي الرقمي برواية ورش QM 1.0.8)، لاستجلاء مدى انتشار وتردد المفاهيم المرتبطة بوضع المختلف دينيا في القرآن، فيما ارتكز الشق الكيفي على مقاربة تحليلية لغوية براغماتية لمضمون الخطاب، والتي استهدفنا من خلالها فك رموز الخطاب الديني بخصوص المختلف دينيا. وقد شملت عينة الدراسة مختلف السور والآيات القرآنية التي تتحدث عن المختلف دينيا وتصف وضعه وتحدد كيفية معاملته، كما شملت أيضا أهم الأحاديث النبوية، ومواقف وتفسيرات أهم أئمة المذاهب السنية الأربعة، مركزا في ذلك على الكيفية التي يدعون بها المسلم لمعاملة غير المسلم خلال مناسباته الدينية : نموذجي التهنئة والتعزية. خلصنا في بحثنا هذا إلى كون الخطاب الديني يضع تمييزا واضحا بين المسلم وغير المسلم، ويوفر قاعدة بيانات ضخمة تصف وضع هذا الأخير، وتحدد وتميز بين السياقات الاجتماعية والدينية التي يكون فيها التعامل معه مقبولا ومسموحا به أو محرما ومنهيا عنه.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الديني، الهوية الدينية، المختلف دينيا، التعزية، التهنئة.

تعد هذه الدراسة تنقيبا بيبليوغرافيا عن الأسس والمنطلقات التي ينبني عليها تمثل الشباب المغربي المتدين لهويته الدينية ولغيره من المختلفين دينا، وهي عمل يتمم ويفسر دراسة ميدانية سابقة بعنوان : "الهوية الدينية للشباب المغربي وموقفهم من المختلف دينيا على الفايسبوك) ".أنظر: لعلا، حكيمة. العياشي، الدغمي. (2025، مارس). الهوية الدينية للشباب المغربي وموقفهم من المختلف دينيا على الفايسبوك. مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل. مج7، ع30. تم الاسترجاع من الرابط التالي [3](https://democraticac.de/?p=103761) :

[4] طالب باحث بسلك الدكتوراه – جامعة الحسن الثاني - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية - مختبر "الأبحاث السوسيولوجية، البسيكولوجية، والثقافية". المغرب

[5] أستاذة علم الاجتماع – جامعة الحسن الثاني – كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية – شعبة السوسيولوجيا. مديرة مختبر "الأبحاث السوسيولوجية، البسيكولوجية، والثقافية".المغرب. البريد الإلكتروني : hakima.laala@etu.univh2c.ma

مقدمة

يعتبر الخطاب الديني أحد أقدس الخطابات في تمثل الشباب المغربي (لعلا، والدغمي. 2025، ص. 112-140)، ويشكل مرجعا للهوية الدينية الذاتية والجماعية، ومنطلقا لبناء نظرتهم للعالم وللآخرين، والحكم على السلوكات والتمييز فيها بين المقبول والمرفوض، المقدس والمدنس.

إنهم يستشهدون به على « صحة » أقوالهم، و« صدق » أفعالهم، ويقسمون به على « حسن نياتهم »، ولا يمكن أن يمر طقس أو سلوك يومي دون أن يلف بخطاب الدين : كالبسملة، أو الحمدلة، أو القسم، أو استحضار آيات من القرآن، أو الأحاديث النبوية، أو أقوال عن مشايخ أو شخصيات دينية ذات شهرة معينة بين هذه الفئة من المتدينين الشباب.

ولا نخاطر إن قلنا إنه يعتبر « حجة قطعية »، يعتقدون بشكل قبلي في صحتها، وتعاليها عن النقد أو التشكيك ؛ فالشباب المتدين بهذا المعنى لا يستطيع إدراك ذاته خارج إطار الخطاب الديني الذي شكل المرجع لتنشئته وتأطير تفكيره ونظرته لذاته ولغيره وللعالم.

إن دراسة هذا الخطاب وفحصه تدفعنا لاكتشاف أنواع مختلفة ودرجات معينة، تصنفه حسب قيمته، وحسب قدسيته. كما تختلف أنماط القراءات والتأويلات، باختلاف المذاهب والغايات. « فالفاعلون في الحقل الديني، وفق بيار بورديو، هم الأنبياء ورجال الدين أي الفقهاء وعلماء الكلام والمتصوّفة والزهّاد والوعّاظ ورؤساء المذاهب والطوائف ومن في معناهم، وباختلاف هؤلاء الفاعلين (...) تختلف درجات الخطاب الذي ينتجونه » (الطاهري. 2025، ص. 9) وتختلف درجة قدسيته وتأثيره على من يستهلكونه ويعكسونه في تفكيرهم وسلوكاتهم.

سنركز اهتمامنا في هذه الدراسة على استجلاء موقف الخطاب الديني من المختلف دينيا، وفقا لتراتبية تعكس درجة القدسية التي يحظى بها هذا الخطاب بالمذهب السني الذي تهيمن عليه القراءة الفقهية لـ« أهل السنة والجماعة[1] » (حمدي. 2020، ص 18-19)، انطلاقا من القرآن، مرورا بالحديث النبوي، وانتهاء بمواقف أبرز الأئمة والفقهاء للمذاهب السنية الأربع. بناء على تحليل المضمون والمقاصد اللغوية التي تحكم تأويل هذه المذاهب، والتي تشكل المرجعية الأولى للتدين لدى الأغلبية المسلمة بالمغرب. منطلقا من السؤال التالي : ما طبيعة موقف القرآن والحديث النبوي و « أهل السنة والجماعة » من المختلف دينيا ؟ وكيف يبني هذا الخطاب تصور الشاب المسلم لهذا المختلف ؟ وكيف يدعو لمعاملته ؟

لقراءة هذا الموقف وضعنا في مخيلتنا افتراضا يوجه تحليلنا للسؤال المطروح، مفاده أن « موقف الشباب من المختلف دينيا يجد أساسه في الخطاب الديني الأصولي (القرآن والسنة) الذي يشكل مرجعية للتنشئة والهوية الدينية، وبناء تمثلاته حول ذاته، وحول غيره من المختلفين دينيا، ويعتبر خطابا مقدسا ومتعاليا عن النقد والتشكيك ».

سيتوزع هذا العمل على ثلاثة محاور، يخصص الأول منها لتحديد معنى الاختلاف وكذا المختلف دينيا من منظور القرآن والسنة.

أما المحور الثاني فسيخصص لعرض موقف القرآن من المختلف دينيا، وذلك من خلال تحليل الكيفية التي يصور بها هذا المختلف ضمن بعض الآيات، من جهة، والكيفية التي يدعو المسلم لمعاملته من جهة ثانية.

فيما سنعمل بالمحور الثالث على عرض لبعض نماذج الأحاديث النبوية ومواقف وفتاوى أهم أئمة وأتباع المذاهب الأربعة « لأهل السنة والجماعة » متخذين في ذلك نموذجي الموقف من تهنئة وتعزية غير المسلمين.

مفاهيم الدراسة الأساسية

I. المختلف دينيا من منظور النص القرآني.

القرآن هو الكتاب المقدس لدى المسلمين، وهو خطاب الله وقوله وكلامه، الذي لا ينبغي أن يناقش أو ينتقد، أو يشكك فيه، بل يقرأ، ويحفظ، ويقدس، ويعمل به. يتشكل من 114 سورة، تختلف من حيث الحجم والموضوعات، تتخذ كل سورة عنوانا لها، وتتناول قضايا وأحداث ترويها عن « تجارب أقوام سابقة »، أو تقدم مجموعة من التوجيهات الأخلاقية لكيفية التعبد، أو ممارسة الحياة، أو العلاقة مع الغير.

يشكل للمسلم مرجعا يؤطر علاقته بالله، ووجوده وحياته الواقعية ونظرته للعالم وللآخرين، ويحدد في توجيهات لغوية صريحة أو ضمنية المبادئ التي ينبغي التعامل وفقا لها بين المسلمين بعضهم البعض، كما يخصص حيزا مهما في خطابه لغير المسلمين ولكيفية معاملتهم، والنظرة لدياناتهم ومناسباتهم الدينية والحكم عليها.

إن قولنا باستشفاف موقع المختلف دينيا في النص القرآني، لا نرمي به بناء تصنيف محدد لهذا المختلف، أو نقصد دينا معينا بذاته، على اعتبار أن منظور أغلب الشباب المتدين خاصة، والمسلمين عامة، يعتبر كل من هو غير مسلم، أو يتدين بدين آخر غير الإسلام، في كفة « الكافر » ويعتبر دينه « باطلا » و « محرفا » و « مرفوضا » (السمهوري. 2024، ص. 325). هذه النظرة نجد لها أساسا في القرآن ذاته والذي جاء فيه : « إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » (سورة آل عمران : الآية 19). وأن « مَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (آل عمران : الآية 85).

بهذا المعنى فالمختلف دينيا من منظور القرآن، هو كل من لا يؤمن ولا يسلم بما جاء في القرآن من آيات، أي يكفر بها ولا يأخذ بتعاليمها وتوجيهاتها، ومهما يكن دينه فهو غير مقبول وأنه بذلك قد ساء عن السبيل والهدى، واتخذ طريق الخسران (المقدسي. ص. 26).

1.I. معنى الاختلاف في القرآن

ما الذي يعنيه الاختلاف في القرآن ؟ ما هي أوجهه ؟ وما المقصود بالمختلف دينيا في هذا المستوى ؟

يمكن أن نجد لمفهوم الاختلاف عدة معان وأبعاد في القرآن، ولكن ينبغي أن نقول، قبل عرض أهمها، أن الخطاب القرآني في شموليته يعترف بالاختلاف ويعتبره « سنة للحياة »، وعبرة للنظر والتأمل في « عظمة الخالق ». إذ نجد في كثير من الآيات، من بينها : «ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين » (سورة الروم : الآية 21). و « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين » (سورة هود : الآية 118). و« وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا » (سورة الحجرات : الآية 13).

هنا يمكن أن نرصد ثلاثة استعمالات لمفهوم الاختلاف من منظور قرآني، الأول : يحيل للاختلاف الذي وجد عليه النظام الكوني، وهو نمط من الاختلاف النوعي الذي يقصد إبراز التعدد والتنوع كدلالة على « عظمة الخالق في خلقه للكون والطبيعة» (الروم : الآية 21)، فيما يرمز الاستعمال الثاني لمفهوم الاختلاف من نفس الآية، لتنوع اللغات والألوان بين الناس، وهذا فيه اعتراف صريح بالتنوع الثقافي والعرقي، الذي تؤكده (الآية 13 من سورة الحجرات المذكورة سابقا). أما (الآية 118 من سورة هود)، فتحيل على الاختلاف الديني. وذلك من منظور أن مفهوم « الأمة » الوارد في الآية يرتبط عادة في سياق الخطاب القرآني بالمجتمعات/الجماعات التي تتشارك نفس الدين، سواء تعلق الأمر بدين « حق » وهو الإسلام، أو دين/اعتقاد « باطل » وهي معتقدات مختلف الجماعات التي تدين بغير الإسلام (البدري. 2018، ص 81-116). ويقصد بها هنا أنه « لو شاء الله لجعلكم على دين واحد » وجماعة واحدة. ويؤوله (ابن عباس): للأمة الإسلامية، التي جاء ذكرها في النص القرآني مرتبطة بعدة أوصاف من بينها: « الأمة المسلمة » و « الأمة الواحدة » و « الأمة الوسط » و « خير أمة » (الجوزي. 2002).

إن كان مفهوم الأمة وما يرتبط به من ألفاظ وأوصاف، يركز على « وحدة وانسجام » المسلمين تحت « دين واحد » هو الإسلام، باعتباره « الأمة الرابحة »، و « خير أمة ». ففي المقابل أفرد القرآن كذلك الكثير من الأوصاف والألفاظ للأمم والأقوام غير المسلمين. سنعرض أهمها في الجزء الثاني من هذه الورقة.

ولإن كان مفهوم الاختلاف بهذا المعنى يتخذ معان وأبعاد عدة في الخطاب القرآني : الاختلاف النوعي الذي يرمز للتعدد والتنوع الطبيعي، والاختلاف الثقافي واللغوي والعرقي، فإن غايتنا الأساسية من هذه الدراسة هي الوقوف على معنى **المختلف في الدين**؛ والذي نحيل به كما جاء في القرآن ذاته، إلى كل من هو على **غير عقيدة الإسلام**، الذي لا ينتمي « للأمة الإسلامية » أو يعتقد في دين غير الإسلام سواء كان يهوديا، أو نصرانيا، أو بوذيا، أو زرادشتيا، أو بهائيا، أو غيرهم، ما دام الأمر يتعلق بكون كل « خارج عن الإسلام» يعتبر مختلفا دينيا. بناء على منطوق (الآية 85 من سورة آل عمران المذكورة آنفا).

II. المختلف دينيا في الخطاب النبوي.

يقول الرسول : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر » (الألباني. 2000، ص 43) يتضح بأن هذا الحديث يفصل بين المسلم وغير المسلم بمعيار محدد، وهو الصلاة، ويقصد بها هنا صلاة المسلم، التي تعتبر فرضا أساسيا من فروض الإسلام، وتعتبر أيضا عماده، بعد الشهادتين. ومنه فكل تارك للصلاة بهذا المعنى يعتبر كافرا، وهناك من الأئمة السنيين من ذهب إلى أنه يستحق القتل كأبي حنفية ومالك والشافعي (العراقي. بدون سنة نشر، ص 145-146). ولا يقصد بهذا فقط غير المسلم، وإنما يعتبر الأمر بمثابة حكم عام يسري على كل تارك للصلاة، التي هي المعيار للتمييز بين « المؤمن والكافر ».

وفي حديث آخر يقول الرسول : « إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا مؤمن » (البخاري. 2016، ص 2909)، وهذا حديث صريح في كون الإسلام هو الدين الوحيد والأوحد، وذلك باستثناء لغوي قاطع يعتبر النفس المسلمة هي وحدها التي ستدخل الجنة، وهو في مضمونه يتقاطع حرفيا مع النص القرآني في قوله : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » (آل عمران : 85). وهو استثناء يعيد التأكيد مرة أخرى على مركزية الإسلام مقابل باقي الأديان والمعتقدات التي تعتبر « خاطئة ومحرفة » وستؤدي باتباعها إلى «الضلال والنار ».

ويذهب المنطق المحمدي أبعد من ذلك في اعتبار أن مجرد السماع عن رسالته وإنكارها كاف ليذهب بصاحبه للنار إذ يقول : «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النار » (الألباني. 1988، ص 1188) بل إن أحد دعاة المذهب السني « التيار الجهادي » المعاصرين (وهو عاصم بن محمد بن طاهر البرقاوي الملقب بأبي محمد المقدسي) يؤكد على أنه حتى ولو لم تصل الرسالة المحمدية لغير المسلم فهو يعتبر كافرا من الأساس، إذ يحدد أن للكفر درجات كما للإيمان درجات، قائلا : « ولذلك نعتقد أن كل من دان بغير دين الإسلام فهو كافر، سواء بلغته الرسالة أو لم تبلغه، فمن بلغته؛ فهو كافر معاند أو كافر معرض، ومن لم تبلغه؛ فهو كافر جاهل، فللكفر درجات، كما أن للإيمان درجات » (المقدسي. بدون سنة نشر، ص 26). إن غير المسلم من هذا المنظور يظل « كافرا » سواء لعلمه بالرسالة وإنكارها وهو من دوافع العناد والإعراض، أو لعدم علمه بها ويكون « كفره » في هذا المستوى مرتبطا بالجهل، غير أن هذا الجهل لا يعفيه من «التكفير » بمنطق هذا الداعية « الجهادي ».

نستشف مما تقدم أن هناك تمييزا واضحا بين « المسلم » و « الكافر » في الحديث النبوي، الذي يعتبر أن المسلم كل متتبع للرسالة المحمدية ومعتنقا مضامينها، مؤديا الصلاة الإسلامية. فيما يعتبر كل مخالف لذلك « كافرا ».

إن « التكفير » في واقع الأمر ظاهرة لازمت تاريخ الدين الإسلامي منذ ظهوره، إذ كانت الرسالة الإسلامية واضحة فيما يتعلق بالتمييز العقدي بين « المسلم » و « غير المسلم » أي « الكافر » كما تبين ذلك في الآيات والأحاديث التي أوردناها آنفا.

ولن يكون هذا التمييز حكرا على ثنائية « المسلم » مقابل « الكافر » البعيد (أي الذي يدين بدين غير الإسلام) (السمهوري، 2024، ص 325)، وإنما سيطال حتى « المختلف القريب »، أي المسلم ذاته، « المسلم المختلف في الانتماء المذهبي » كذلك. وهو ما يتجاوز التمييز العقدي بين الدين الإسلامي وباقي الأديان ليتخذ كأساس للفعل السياسي لدى « الخلفاء الراشدين » حيث سيعتبر الخليفة الراشدي الأول أبو بكر الصديق، « الكفر » مبررا لدفع « الجزية » أو « الزكاة » معتبرا أن كل من رفض ذلك من « المسلمين » مرتدا وهو ما أطلق عليه آنذاك ب « حروب الردة » (علوان. 2021، ص 1-28)، وستظهر شدة « التكفير » من داخل « البيت الإسلامي» خلال فترة الخليفة الراشدي الرابع « علي بن أبي طالب » حيث تأسست « فرقة الخوارج » والتي كفرت الكثير من المسلمين. لتمتد الظاهرة بعد ذلك على طول التاريخ الإسلامي وتطال مختلف المذاهب والفرق الإسلامية التي لا نجد ضمنها من لم يستخدم التكفير ضد من خالفه التوجه أو المذهب (علوان. ص 3).

إن لهذا المنطق التكفيري و « الإقصائي » امتدادا لدى التيار السني السلفي الوهابي الذي يجد جذوره في أفكار كل من ابن حنبل وابن تيمية (علوان. 2021). حيث اتخذ الفكر الحنبلي كمنطلق لتكفير المختلف الديني وحتى المذهبي من نفس الدين، وشكل الأساس لهذا المنطق الإقصائي بعد الخوارج. ليمتد بعد ذلك ويتوسع من خلال فتاوى « التكفير والقتل والإقصاء » التي أصدرها ابن تيمية في العديد من مؤلفاته، أهمها (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم). والذي يفتي فيه بمقاطعة « غير المسلمين » وبتحريم مشاركة أعيادهم ومناسباتهم الدينية.

منهجية الدراسة وأدواتها

تزاوج منهجية الدراسة المعتمدة في تجميع وتحليل المعطيات، بين المقاربتين الكمية والكيفية؛ بحيث اعتمدنا بخصوص المقاربة الكمية منهجا إحصائيا يروم قياس مدى انتشار وتردد المفردات والمعاني التي تصور المختلف دينيا ضمن الخطاب الديني بالنسبة للقرآن معتمدين في هذا المستوى التطبيق الرقمي « المصحف المحمدي الرقمي برواية ورش QM 1.0.8» والذي مكننا من البحث الرقمي في المصحف عن مختلف المفردات والأوصاف التي تصور وضع المختلف دينيا وتحدد مصيره، وكذا الكيفية التي تدعو بها المسلم لمعاملته. سهل هذا التطبيق عملية جرد الألفاظ وتصنيفها، ومدني بصورة واضحة عن مدى

ترددها وانتشارها ومواقع توظيفها. فيما اعتمدنا بالنسبة للمقاربة الكيفية **آلية تحليل المضمون** مستندين في هذا المستوى في تحليل عينة الآيات القرآنية **مقاربة تحليلية لغوية براغماتية**، تقوم على تفكيك الوظائف التي يؤديها الخطاب في النص القرآني بخصوص المختلف دينيا، والتي يحددها باري عصمان (BARRY . 2002, p 1-35)، في ثلاث وظائف:

- الوظيفة الاقتراحية/الدلالية (La fonction propositionnelle) : والتي تهتم بما تقوله الكلمات، **وما تحتويه من معنى في ذاتها**. أي دلالتها الحرفية، وما تعكسه من تمثل عن الواقع. أي ما تعنيه الكلمات ذاتها، وهنا لابد أن نأخذ بعين الاعتبار موقع هذه الكلمات ضمن سياق الخطاب، خاصة ونحن نعلم أن الكلمات تتخذ معان مختلفة في سياقات مختلفة. وبصيغة استفهامية يمكن أن نقول إن الأمر يتعلق بالجواب عن سؤال : ما معنى ما قيل؟

- الوظيفة التلفظية أو الإنجازية (La fonction illocutoire) : والتي ترتبط بما يقصده المتكلم/المرسل، وما ينوي تحقيقه/إنجازه من خلال ما يتلفظ به، وينطقه، والذي قد يكون صريحا منطوقا ومباشرا بالكلمات أو ضمنيا مستشفا من سياق الخطاب، أو طبيعة العلاقة بين المخاطب والمخاطب. إن الأمر يرتبط بما يعنيه المتكلم بكلماته، هل يقصد الأمر، أو الطلب، أو الاعتذار، أو الاقتراح، أو التبرير؟ أي ما المقصود بما قيل؟

- الوظيفة التأثيرية أو التنفيذية (La fonction perlocutoire) : والتي تعني (الهدف المقصود تحقيقه من خلال الكلام لدى المخاطب)، أي ما يقصد المتكلم تحقيقه كأثر ملموس في إدراك أو سلوك أو تصرف المخاطب. وهي وظيفة خطابية تختلف عن الوظيفة التلفظية، من حيث إنها تأخذ بعين الاعتبار الأثر والنتيجة التي تتحقق في ردة فعل المخاطب، أي : تحقيق الاقتناع بمضمون الرسالة، أو التخويف، أو التأنيب، أو الترغيب، أو التشكيك، أو الطمأنة ؟ والتي من شأنها أن تدفع المتلقي إما لتغيير تصوره أو سلوكه أو ردة فعله. أي ما المراد تحقيقه بما قيل؟

إن قولنا بتحليل الخطاب القرآني، نابع من تصور يعتبر فيه هذا الخطاب، « قولا منظما، ومتماسكا، يرمي بناء تصور معين، ويؤسس لنظرة محددة مرتبطة بسياق تاريخي واجتماعي وثقافي خاص » (Vernant. 2004)، ولابد أن ندرك هنا أن الخطاب لا يقتصر فقط على الشفهي المنطوق، وإنما يمتد ليشمل المكتوب أيضا أي النص (BARRY. 2002). من حيث هو بنية لغوية أنتجت في سياق فكري وتاريخي معين، لتحقيق هدف/أهداف محددة، وما دام الأمر يتعلق بتحليل هذه البنية اللغوية فإننا في حقيقة الأمر نعمل على تحليل بنية فكرية، حيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وأنهما يشكلان وحدة تكون فيها اللغة هي الفكر ذاته، وهي حضوره وتجليه في العالم، وفي التواصل بين الناس (Merleau-Ponty. 1946, p. 212).

إن **تحليل الخطاب** بهذا المعنى هو تفكيك لعقلية معينة، تنتظم في نظرتها للعالم وللغير ضمن السياق اللغوي الثقافي وتخضع له ولتحديداته وتوجهاته. ويعني ذلك، تحليل النص القرآني « بما هو صيغة من صيغ التعبير والتفكير ينبني الكلام فيها على نحو من الأنحاء » (الطاهري. ص 4)، ويهدف تحقيق أثر معين لدى المخاطب، يمكننا فهم صيغته وتفكيكها من فهم البنية

العقلية التي تؤمن بها وتتخذها إطارا مرجعيا يحدد تصورها لذاتها وللعالم، ويسمح لنا بالتالي بفهم التمثل الذي ينظر من خلاله المسلم الشاب لغيره من المختلفين دينيا عنه، أي غير المسلمين.

لهذه الغاية، اعتمدنا في تحليلنا للخطاب القرآني على عينة من الآيات التي تتحدث عن المختلفين دينيا، وفق منظورين : الأول ؛ ينظر في الخطاب ذاته، ونحاول من خلال ذلك فهم المنظور القرآني للمختلف دينيا، أي كيف يصور هذا المختلف ؟ كيف يتحدث عنه ؟ وما هي الألفاظ والأوصاف التي يعتمدها في وصفه ؟ وكيف ينظر لدينه وشعائره ؟ والثاني ؛ ينظر في الكيفية التي يدعو بها المسلمين لمعاملته. وكذا الأثر الذي يرمي إلى تحقيقه في تصورهم وسلوكهم. هل يدعو للانفتاح والاحترام والتقبل ؟ أم للرفض والإقصاء والإلغاء ؟ الأمر ذاته فيما يرتبط قراءة وتحليل الأحاديث النبوية، ومواقف أئمة المذاهب السنية الأربعة.

عينة الدراسة

تتوزع عينة الدراسة على مستندين شملهما البحث والتنقيب البيبليوغرافي، وهما :

1- الآيات القرآنية التي تتضمن مفردات ونصوصا تصف وضع المختلف دينيا، وتحدد مصيره في « الدنيا والآخرة »، وتحدد طبيعة العلاقة والمعاملة التي ينبغي أن يعامله وينظر إليه المسلم من خلالها. وقد شمل البحث مجموع « سور القرآن » ال114 سورة، بناء على كلمات مفاتيح يعتمدها الخطاب القرآني ذاته لوصف وتصنيف « غير المسلمين » من قبيل «الكفر»، و « الشرك »، و«الضلال »، و « الخسران ». وقد مكننا البحث الرقمي باعتماد تطبيق « المصحف المحمدي الرقمي برواية ورش QM 1.0.8 » من التنقيب الشامل في مختلف الآيات والنصوص التي تضمنت الكلمات المفاتيح وجردها وتصنيفها ضمن جداول حتى يسهل توظيفها خلال عمليتي القراءة والتحليل.

2- الخطاب السني : وقد شمل ذلك دراسة بعض الأحاديث النبوية، وآراء الأئمة السنيين للمذاهب الأربع (الحنفي، والشافعي، والحنبلي، المالكي) بخصوص وضع المختلف دينيا، وكيفية معاملته، بناء على استجلاء الموقف من « التعزية والتهنئة » وآدابهما عندما يتعلق الأمر بغير المسلم.

وقد استغرقت مدة الدراسة والتنقيب البيبليوغرافي وتجميع العينات وجردها وتصنيفها وتضمينها بجداول ما يفوق الثلاثة أشهر ونصف متتالية بوتيرة عمل خمسة أيام في الأسبوع بما يناهز ما بين 3 ساعات ونصف إلى خمس ساعات في اليوم.

نتائج الدراسة ومناقشتها

I. صورة ووضع المختلف دينيا في النص القرآني

لقد صور القرآن المختلف دينيا في عدة سياقات خطابية، وأفرد له عدة ألفاظ توصيفية، يمكن القول إجمالا، إنها تعتبره «كافرا » و«مشركا » و « ضالا » و « من الخاسرين ».

وقد جاءت هذه الأوصاف في أغلبها بصيغة الجمع، تحت ألفاظ « الكافرون » و « المشركون » و « الضالون » و « الظالمون » و«الخاسرون » و « المفسدون » و « الفاسقون »، وفيما يلي عينة لبعض أكثرها ترددا في القرآن. وهما لفظتي « الكفر » و «الشرك ».

I. 1. ترددات لفظتي « الكفر» و« الشرك » في النص القرآني

قبل جرد ترددات هذين اللفظين، لابد أن نذكر بأن القرآن قد خصص، صورة باسم « الكافرون » والتي يخاطب فيها الرسول بأمره : «قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون » (سورة الكافرون : الآيتان 1 و2). والتي تصور كل من يتبع غير رسالة « الإسلام» ويتمسك بدين غير الدين الذي يدعو إليه الرسول، يعتبر كافرا، وله دينه الخاص الذي يختلف عن الدين الإسلامي ويتناقض معه. وهو ما تؤكده الآية التالية بالحرف : « هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ » (سورة التغابن : الآية 2). فالكفر بهذا المعنى مفهوم قرآني يعني إنكار ما ورد به في الرسالة الإسلامية سواء ارتبط بالقرآن أو بالنبوة، ويقابله في سياق الخطاب القرآني «الإيمان » الذي هو من أبرز مميزات المسلم.

تتردد لفظتا « الكفر » و « الشرك » في كثير من الآيات والسور بصيغ زمنية متعددة حاملتان لأوصاف ودلالات مختلفة، حيث بناء على نظرة إحصائية شمولية لمختلف السور والآيات القرآنية، يتضح جليا كيف أن الخطاب القرآني قد خصص حيزا مهما من التكرار اللفظي الحرفي، للفظتي « الكفر » و « الشرك »، 352 مرة للفظة « الكفر » و130 مرة للفظة « الشرك » كما هو مبين من خلال الجدولين رقم 1، ورقم 2 أسفله. وذلك بصيغ زمنية متعددة (كفروا، يكفرون، أتكفرون) و (أشركوا، يشركون، تشركون) وبصيغ مخاطب مختلفة : (كافر، مشرك – كافرون، مشركون). ويفيد التكرار الحرفي في اللغة العربية إما التأكيد على أهمية اللفظ/الفعل، أو التحذير منه، أو التذكير بأحدهما؛ أي الأهمية أو الخطورة. وهو ما سنبينه في إجابتنا عن السؤال الثاني من مقاربة التحليل : فما الذي يقصده المخاطب بما يتلفظ به ؟

مجلة اريكتيس للسوسيولوجية التطبيقية والتنمية
Association Erectus de la Sociologie Appliquée et Développement (ESAD)
المجلد 01 العدد 01 يونيو 2026
Volume 01 Numéro 01 Juin 2026
ISSN : 3156-9579

الجدول رقم 1 : ترددات لفظة « الكفر » في القرآن

	السورة	الآيات		السورة	الآيات		السورة	الآيات
1	البقرة	-101-97-90-89-88-60-38-33-23-18-5 -248-210-190-170-160-108-104-103 285-275-263-256-252	25	النمل	69-44	49	الحديد	-18-14 19
2	آل عمران	-90-89-85-71-55-54-32-28-21-12-10-4 -149-147-141-131-127-116-112-100 196-178-156-151	26	القصص	86-82-48	50	المجادلة	5-4
3	النساء	-100-88-83-75-74-59-55-50-42-37-18 -149-143-140-139-138-136-130-101 169-167-166-160-150	27	العنكبوت	-47-22-11 -66-54-52 68-67	51	الحشر	11-2
4	المائدة	-80-75-70-69-66-59-56-47-46-38-11-4 112-105-104-97-91-88-82	28	الروم	-33-15-12-7 57-50-44	52	الممتحنة	-10-5-1 13-11
5	الأنعام	131-123-90-70-26-8-2	29	السجدة	29-10	53	الصف	8
6	الأعراف	100-92-89-75-65-49-44-35	30	الأحزاب	-48-25-8-1 64	54	المنافقون	3
7	الأنفال	-60-56-53-51-38-36-30-18-15-14-12-7 74-66	31	سبأ	-31-17-7-3 53-43-34-33	55	التغابن	-7-6-5 10
8	التوبة	-74-68-55-54-49-40-37-32-30-26-3-2 126-124-121-108-98-91-86-81-85-75	32	فاطر	-36-26-14-7 39	56	التحريم	10-9-7
9	يونس	86-70-4-2	33	يس	69-46	57	الملك	-21-6 29-28
10	هود	67-59-42-27-19-7	34	الصافات	170	58	القلم	51
11	يوسف	87-37	35	ص	73-26-3-1	59	الحاقة	50
12	الرعد	44-36-34-33-32-31-28-15-8-6	36	الزمر	-56-31-8-4 68-60	60	المعارج	36-2

13	إبراهيم	37	36-30-21-16-10-3	غافر	61	-13-9-5-3 -50-25-22 84-73	نوح	29-28
14	الحجر	38	2	فصلت	62	-26-25-13 49-40-28	المدثر	31-10
15	النحل	39	107-88-84-83-72-55-39-27	الشورى	63	24	الإنسان	4
16	الإسراء	40	98-8	الزخرف	64	29-23	المطففين	36-34
17	الكهف	41	101-100-98-96-79-55	الجاثية	65	30-10	الانشقاق	22
18	مريم	42	84-83-73-36	الأحقاف	66	-10-6-5-2 33-19	البروج	19
19	الأنبياء	43	96-39-36-30	محمد	67	-11-9-4-3-1 35-33-13-12	الطارق	17
20	الحج	44	70-55-53-42-23-19	الفتح	68	-25-22-13 29-26	البلد	19
21	المؤمنون	45	118-33-24	ق	69	24-2	البينة	6-1
22	النور	46	55-38	الذاريات	70	60	الكافرون	1
23	الفرقان	47	52-32-26-4	الطور	المجموع	40		352 مرة
24	الشعراء	48	18	القمر		43-8		

المصدر بحث شخصي 2025 باعتماد تطبيق https://app.al-mushaf.com/

الجدول رقم 2 : ترددات لفظة « الشرك » في النص القرآني.

	السورة	الآيات		السورة	الآيات
1	البقرة	95-104-134-219	21	العنكبوت	7-65
2	آل عمران	186-151-95-66-63	22	الروم	-39-34-32-30 12-41
3	النساء	115-105-74-47-36	23	لقمان	14-12
4	المائدة	74-84	24	الأحزاب	73
5	الأنعام	-108-107-101-95-89-82-81-80-79-65-42-24-23-20-15 163-152-149-138-122	25	سبأ	27-22
6	الأعراف	191-190-173-31	26	فاطر	14-40
7	التوبة	114-36-33-31-28-17-7-6-5-4-3-1	27	الزمر	62-64
8	يونس	18-28-34-35-66-105	28	غافر	11-42-73-83
9	هود	54	29	فصلت	46-5
10	يوسف	108-38-106	30	الشورى	19-11
11	الرعد	18-34-37	31	الأحقاف	3
12	إبراهيم	24	32	الفتح	6
13	الحجر	94	33	الطور	41
14	النحل	27-3-1-123-120-100-86-54-35	34	الحشر	23
15	الكهف	105-51-41-26-37	35	الممتحنة	12
16	الحج	17-24-29	36	الصف	9
17	المؤمنون	93-60	37	القلم	41
18	النور	53-3	38	الجن	2-20
19	النمل	61-65	39	البينة	6-1
20	القصص	62-64-68-74-87	المجموع		130 مرة

المصدر : عمل الباحث 2025 باعتماد تطبيق https://app.al-mushaf.com/

I. 2. وضع « الكفار» و« المشركين » ومصيرهم حسب النص القرآني.

إن تركيزنا هنا سينصب على إبراز الكيفية التي يصور بها النص القرآني - غير المسلمين - والتي تبين لنا من خلال المراجعة المعمقة لمختلف الآيات المتضمنة للفظتين، أن الأمر يتعلق ب « الكفار » و « المشركين ». بما هما اللفظتان الأساسيتان في تصوير ومخاطبة المختلف دينيا من منظور قرآني. فيما تبقى باقي الألفاظ تصويرا لحالتهم أو وصفا لمصيرهم في « الحياة الدنيا » أو في «الآخرة ».

ويمكن تصنيف أوصاف ومصير كل من « الكافرين » و« المشركين » من خلال الجدول التالي :

الجدول رقم 3 : أوصاف المختلف دينيا ومصيره في النص القرآني

	أوصافهم	مصيرهم
الكافرون/المشركون	اليأس والقنوط؛ الجحود؛ الكذب؛ الافتراء؛ التكبر؛ الغرور؛ الحسد؛ المكر؛ الأذى؛ الكيد؛ الشر؛ الخداع؛ الخيانة؛ الغدر؛ الجهل؛ النفاق؛ العداوة؛ الذل؛ نكران النعمة والخير والجميل؛ اتباع الأهواء؛ التمسك بالحياة؛ أعداء الله والمؤمنين؛ ظالمون؛ ضالون؛ فاسقون؛ مفتنون؛ مستهزؤون؛ يحلون ما حرم الله؛ زينت لهم سوء أعمالهم؛ في قلوبهم مرض؛ سقطوا في الفتنة؛ أكل أموال الناس بالباطل؛ يصدون عن سبيل الله؛ ...	حبطت أعمالهم في الدنيا وفي الآخرة؛ لا يفلحون؛ أصحاب النار فيها خالدون؛ وقود للنار؛ عليهم لعنة الله وغضبه؛ العذاب المهين، العذاب الأليم؛ العذاب الشديد؛ عذاب السعير؛ يمقتهم الله؛ الويل؛ لا يهديهم الله ولا يحبهم؛ أعدت لهم النار؛ ويمحق الكافرين؛ في الظلمات؛ حرمت عليهم الجنة؛ لهم عذاب النار؛ يطبع الله على قلوبهم؛ يقطع الله دابرهم؛ يخزيهم الله؛ الخزي والسوء؛ لا يفلحون؛ هم الخاسرون؛ مصيرهم الضلال؛ الدمار؛ أعد لهم الله السلاسل والأغلال والسعير ...

المصدر : عمل الباحث 2025 باعتماد تطبيق https://app.al-mushaf.com/

يستنتج من قراءة المفردات التي خصصت لوصف غير المسلمين، في النص القرآني أننا أمام ألفاظ يغلب عليها الطابع السلبي «المتطرف »، والتي تصور المختلف دينيا نفسيا وأخلاقيا وعلائقيا واجتماعيا في وضع « الكائن السيء » و « الشرير » و «المنبوذ ». ذلك الآخر « اللاأخلاقي » ذي القيم « السيئة » : « الجاحد » و « الكذاب » و « المفتري » و « الماكر » و « المخادع » و «الفاسق ».

نفسيا ؛ يصور النص القرآني « الكافر/المشرك » كشخص منكسر « يائس » و « قنوط » و « مغرور » و « مذلول » و «مفتون بالحياة » و « مستهزئ » و « جاهل » و « مريض » و « محبط ». فيما اجتماعيا وعلائقيا : يعتبر هذا الأخير « حسودا » و

« ناكرا للنعمة والجميل » و « يستولي على أموال الناس بغير حق » و « يخون الأمانة » و « ظالم » و « عدو ». أما مصيرهم فلا يختلف عن حالهم من منظور النص؛ إذ يصورهم في كفة « الضالين » و « الخاسرين » و « سوء السبيل » وأن كل أعمالهم مصيرها « الإحباط » في « الدنيا »، و « لهم في الآخرة » شتى أشكال « العذاب » و « سوء المصير ».

هكذا يصور القرآن المختلف دينيا بصفته « كافرا » أو « مشركا » ويعتبره شخصا كان أو قوما، فئة « سيئة » و « ضالة عن سواء السبيل » ويصنفه في خانة العدو، ومنبع الخطر، والتهديد.

إن النص القرآني يرسخ صورة « **سوداوية** » عن « الكافر » (غير المسلم)، ويقدمه في **سرديات تراجيدية**، تجعل منه مصدر كل الشرور. وبهذا ينبغي إلغاؤه وإقصاؤه وتجنب الخوض فيما يقول أو محاورته، أو اتخاذه وليا للأمر خاصة عندما يتعلق الأمر بأمور الدين أو تلك التي فيها حسم واضح بالنص القرآني. الأمر الذي يبرر الكيفية التي يدعو بها الله بصفته المرسل والمخاطب الرئيسي «المسلمين » للتعامل معه، ويحدد نوعية العلاقة التي ينبغي أن تتأسس معه. وهو ما سنعمل على إبرازه بالجواب عن سؤال : ما المقصود تحقيقه بهذه الأوصاف والنعوت؟

I.3. العلاقة بغير المسلم من منظور النص القرآني

كيف يدعو القرآن لمعاملة غير المسلمين ؟ وكيف يؤسس للعلاقة معهم ؟

سنعتمد في الجواب عن هذا السؤال، الوظيفتين : التلفظية والتأثيرية (BARRY. 2002, p 4) ، في مستوى تحليل الخطاب القرآني، وذلك لفهم المقصود من الخطاب المعتمد في النص، والغاية التي يسعى لتحقيقها في تمثل وسلوك المخاطب « المسلم ». فإذا كانت صورة « غير المسلم » اتخذت طابعا « تراجيديا »، « سلبيا » و « سيئا » في الوصف القرآني، فهل يوحي ذلك بأنه ينبغي إقصاؤه وإلغاؤه أو على الأقل تجنبه؟ هذا ما توضحه الكثير من الآيات التي وردت في هذا الشأن ؛ والتي يمكن تصنيفها حسب الآتي :

الأولى : تدعوا إلى الإحسان « لغير المسلم »، وذلك بعدم ظلمه في جسده بالضرب أو القتل، أو في رزقه بالسرقة أو الغش، أو في أهله بالاعتداء أو الاغتصاب أو غير ذلك. غير أن هذه الدعوة مشروطة بحالة السلم، أي حين لا يقاتل المسلم في الدين، ولم يخرجه من أرضه، وهو ما تؤكده (الآية 8 من سورة الممتحنة)، والتي جاء في مضمونها : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ». والمقصود بمن يدعوهم « الذين لم يقاتلوكم » حسب تفسير «ابن كثير» النساء والضعفة. وهنا لابد أن نؤكد على أن الخطاب في معاملة غير المسلم، خطاب مشروط وليس دعوة لمبدإ أخلاقي مفتوح، وأساسا لمعاملته بالإحسان. فمعاملة « غير المسلم » بالحسنى هنا، مشروطة (القرضاوي. 1992،

ص 6) بسياق يسوده السلم، أي في الوقت الذي لا يشكل فيه خطرا، إما لضعفه أو لعدم قدرته على إلحاق الأذى، كما هو حال « النساء » من منظور ابن كثير.

الثانية : « تدعو لعدم تولي الكفار » أمور المسلمين (القرضاوي. ص 23)، « لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ »، (آل عمران : 28). أو طاعتهم : « اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين... » (الأحزاب آية : 1). « فَلاَ تُطِعِ الكافرينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا» (الفرقان : 52). وذلك لكون طاعة « الكافر » مآلها الخسران : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ » (العمران : 149). ويأتي الخسران حسب « التفسير الميسر » من اتباع « طريق الضلال » التي يدعوا إليها «الكفار» فيخرجون « المسلم عن دينه » وعن « الطريق الصحيح »، « طريق الحق » أي « أحكام الاسلام »، « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين » (آل عمران : 100)، وهذا هو عينه « الخسران » في الدنيا وفي «الآخرة » بالمنطق القرآني. وبهذا المعنى : فلا طاعة « للكافر » ولو تولى الأمر، وكان حاكما من منظور النص القرآني.

الثالثة : تدعو لمقاطعة مجالسة « الكافر » خاصة حين الاستهزاء بآيات القرآن. « وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ... ». (النساء : 140).

رابعا : عدم الافتتان بما يحوزه « الكافر » من « أمور الدنيا » من أموال وأولاد، « فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيد اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الحياة الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ » (التوبة : 55). فإنما هي مصدر عذاب لهم وإلهاء لهم عن «الطريق الصحيح» حتى يموتوا وهم « كافرون ».

خامسا : لا ينبغي الأسى والحزن على « القوم الكافرين » وهو ما ورد بـ (الآية 68 من سورة المائدة)، في خطاب الله لموسى قائلا : « فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ »، والمقصود به أن لا يتعاطف معهم أو يحزن على « كفرهم » و « عصيانهم ». « وَمَن كَفَرَ فَلاَ يُحْزِنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوَاْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور » (لقمان : 22).

سادسا : وجوب « بغض الكفار والتبرؤ منهم »، وهو ما تنص عليه الآية : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ » (الممتحنة : 4).

سابعا : لا يجوز للمسلم أن يستغفر للكافر أو يدعو له بالرحمة ولا أن يقوم على قبره : « وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُون » (التوبة : 84). والمقصود بالصلاة هنا، الصلاة على الميت، والتي تسمى بصلاة الجنازة، وهي آخر صلاة تقام على الفرد المسلم قبل دفنه، وغايتها الدعاء له بالمغفرة والرحمة، وهو ما لا يجوز على غير المسلم قطعا وأبدا حسب منطوق الآية.

ثامنا : وجوب الحذر من « مكر الكافر »، فإنه لا يؤتمن ولا يتخذ رفيقا، بل يظل مصـدرا للعداوة والتهديد، وهو ما يتطلب اليقظة في معاملته، ولو في حالة السلم (ابن عاشور. 1984، ص 117-118) « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا» (النساء: 71).

يستشف من مختلف ما ورد من نصوص قرآنية تخص معاملة غير المسلم أنها تعتمد خطابا بصيغة الأمر. وتقصد في مجملها التحذير والنهي، وإخبارا بسوء المصير الناتج عن الانفتاح على « الكفار » أو « الافتتان بنمط حياتهم ومكاسبهم الدنيوية» فهذه من الأمور الزائلة، والتي نصت عليها الكثير من الآيات في القرآن باعتبارها « متاع الغرور » أو « موالاتهم » أو «طاعتهم » أو « مجالستهم » أو « مشاركتهم أفراحهم ومسراتهم » أو « الدعاء لهم عند الممات ». بل ينبغي « بغضهم » و «عداءهم » و«الحذر منهم ».

وهنا لابد أن نميز في النص القرآني بين الوصف والمعاملة. فالقرآن خصص « أقدح الأوصاف للكفار »، في حين كان موقفه من معاملتهم متأرجحا بين الدعوة للإحسان والأمر بالقول الحسن والمعاملة الجيدة من جهة، وبين التحذير من مغبة « الانفتاح عليهم » وتوليهم الأمر أو طاعتهم في الأمور المتعلقة بالدين والشؤون السياسية، ما دام أن الخطاب الإسلامي يقدم نفسه هنا كشرع وكشريعة للحياة.

كما ينبغي أن نميز بين منطلقين للخطاب القرآني : الأول يختزل المعاملة الحسنة في الأمور الخاصة والدنيوية المحضة، كمعاملتهم بالقسط في التجارة وعدم غشهم في الأرزاق والقول الحسن. أما الثاني فينهى عن كل معاملة تمس بالدين الإسلامي أو يكون مصيرها «تراجع المسلم عن عقيدته »، وهذا راجع للخلفية الدينية لمركزية « الإسلام » باعتباره النموذج الذي ينبغي أن يحتذى لا أن يكون تابعا، وهو ما يفسر أنه يحرم على المسلم مشاركة « غير المسلم احتفالاته الدينية » أو « الترحم عليه عند الموت » أو « الدعاء له بالمغفرة » فهي أمور دينية محضة.

إن الأمر يتعلق بمنظور « المركز » و « الهامش » الذي يحكم العقلية الدينية، « العقيدة الصحيحة والسليمة » مقابل «العقائد الفاسدة »، وهو نفسه منطق ثنائية: « المقدس » و« المدنس » حيث ينبغي التشبث بالأول وإلغاء وإقصاء الثاني. ذلك أنه لا حرج في الانفتاح والاحترام والمعاملة الحسنة فيما يتعلق بأمور الدنيا و « متاعها » ما دام الأمر لا يمس الدين، ولا « يفسد » عقيدة المسلم أو يؤثر على « إيمانه ». فالمسلم من هذا المنظور هو القدوة وهو الذي ينبغي أن يكون النموذج، وهو الذي يجب اتباعه وطاعته لا «الكافر » الذي يعتبر « عدوا »، « ضالا » يجب الحذر منه ومن « ضلاله » و « كفره » وينبغي أن « يهدى للطريق القويم ».

إننا هنا أمام « مركزية الأمة الإسلامية » باعتبارها « خير أمة أخرجت للناس »، وهم « الفائزون ». مقابل باقي الأقوام «الخاسرة/الضالة/الكافرة ». هكذا يصور القرآن الإسلام كأفضل دين، بل وفي كثير من الآيات يعتبر الدين الواحد والأوحد الذي يؤدي اتباعه « للهدى وللنجاة » في الدنيا (الفلاح في الأمور الدنيوية : البركة) والنجاة في الآخرة « الفوز بالجنة ». في حين تصطف باقي الأديان في الهامش، تحت راية « الضلال والخسران ». وهو ما يمكن أن نختصره في العبارة التالية : « الدين الحق مقابل باقي الأديان الباطلة »، والتي لا ترقى من هذا المنظور « لأن تكون أديانا فعلا » وإنما مجرد « أساطير وأكاذيب محرفة ».

لا ندعي هنا الإحاطة الكاملة والشاملة بجميع « مقاصد المعاملات » في « الخطاب القرآني » وهي « مقاصد وغايات » ترتبط بسياقات تاريخية واجتماعية وجغرافية معينة، ولكننا نؤكد بناء على الملاحظات التي أجريناها على الواقع الرقمي (لعلا، الدغمي، 2025)، وعلى « الكثير من خطابات الدعوة » أن هكذا منظور إذا ما أخذ نموذجا للتنشئة واعتبر الأساس لبناء الهوية الدينية لدى الفرد، فإنه سيسوق لنمط من « التطرف الديني الرقمي » الذي لا يرى في الوجود غير لونين ؛ « الأبيض » وهو ما تمثله « راية الإسلام» باعتباره « الدين الحق » من جهة. و « الأسود » الذي تصطف تحت « رايته » باقي المعتقدات باعتبارها «أساطير وخرافات ». وهو التمثل الذي بات ملاحظا بين الكثير من شباب الفايسبوك اليوم، والدعاة الرقميين على مواقع التواصل الاجتماعي « خطاب الدعوة الرقمية »، والتأثير الذي بات يحدثه الخطاب الديني الرقمي على المستهلك الديني االرقمي (Zhang, L. 2025. p. 25-41).

II. المختلف دينا من المنظور السني « أهل السنة والجماعة ».

كما هو الشأن بالنسبة للخطاب القرآني، تشكل الأحاديث النبوية للرسول محمد، مرجعا أساسيا في بناء تمثل المسلم السني عن المختلف دينيا، كما تعتبر الإطار المرجعي الأخلاقي والتشريعي العملي الذي يؤسس للعلاقة معه وكيفية معاملته.

وتعتبر الأساس الذي تنبني عليه فتاوى الأئمة السنيين السلفيين، وخطاباتهم وتوجهاتهم لأتباعهم، وعلى رأسهم « أتباع أهل السنة والجماعة ». التي تشكل مصدرا من مصادر التدين لدى الشباب المغاربة اليوم عن طريق ما يروج ببعض الكتب المدرسية، وعن الدعاة الرقميين على مواقع الأنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي.

وبالبحث في مختلف الأحاديث ذات الصلة بالموضوع، يمكن أن نميز فيها (كما فعلنا مع الخطاب القرآني بالمحور السابق) بين التصوير/الوصف، والمعاملة/العلاقة.

فهنالك أحاديث تؤسس لصورة المختلف دينيا، ووصف دينه، والحدود الفاصلة بينه وبين الإسلام. وأخرى تمثل توجها لكيفية معاملته وبناء علاقة به. وإن كانت السُّنة في كثير مما جاءت به من أحاديث إما نسخا" ضمنيا لمضامين واردة بالخطاب القرآني، أو تفسيرا لبعض آياته وأحكامه، فإنها تمثل بالنسبة للمسلم السني نموذجا مرجعيا في المعاملة والاقتداء، وهو ما سنبينه من خلال نموذجي التهنئة والتعزية لاحقا.

II.1. العلاقة بغير المسلم من منظور أئمة أهل السنة والجماعة

يقصد ب « أهل السنة والجماعة » : الأشاعرة والماتريدية، تمييزا لهم عن الفرق الإسلامية الأخرى وفي مقدمتهم : فرقة المعتزلة (...) وهو مصطلح يطلق على أتباع إمام أهل السنة « أبي الحسن الأشعري، وأتباع الإمام أبي منصور الماتريدي (...) وهم أهل الحديث. وأتباع المذاهب السنية الأربع : المذهب الحنفي نسبة للإمام أبي حنيفة النعمان، واسمه النعمان بن ثابت. والمذهب المالكي نسبة للإمام مالك بن أنس. والمذهب الشافعي نسبة للإمام محمد الشافعي. والمذهب الحنبلي نسبة للإمام أحمد بن حنبل (الطيب 2019. ص 16-19).

فيما يرتبط بالموقف من المختلف دينيا فإن المذاهب الأربع تجمع على كون غير المسلم يعتبر « كافرا » (السمهوري. ص 325). فيما يمكن أن نميز في مواقفهم بين بعدين يشكلان الأساس للعلاقة معه : أحدهما سياسي شرائعي، والآخر ديني عقدي صرف. ولكل سياق علائقي أحكام وتوجيهات تؤطره، إذ نجد في العلاقة بالذِّمي مثلا، أن الإسلام في بعده السني قد أفرد العديد من الحقوق التي يجب أن تضمن له، وتضبط العلاقة به، ومنها نجد ما عرضه الإمام الأزهري يوسف القرضاوي أحد أهم أتباع الإمام الأشعري، يجرد سبعة حقوق أساسية ينبغي أن تكفل للذمي (القرضاوي. 1992) وهي : حق الحماية من الاعتداء الخارجي والداخلي، حماية الدماء والأبدان، وحماية الأموال، وحماية الأعراض، والتأمين عند العجز والشيخوخة والفقر، وحرية التدين، وحرية العمل والكسب، وتولي وظائف الدولة.

أما فيما يرتبط بالمعاهد و « هو الذي يدخل بلاد المسلمين بعهد وميثاق من قبل الدولة المسلمة المعاهدة له وفقَ شروط ومواثيق وأعراف » (الخراز. 2009، ص 477). فله نفس حقوق الذمي، وأهمها حق حماية الروح، والمال، والبدن، والعرض. طبقا لبنود وشروط المعاهدة التي تعتبر بمثابة « ميثاق بين المسلم وربه » قبل أن تكون ميثاقا بين المسلم و « غير المسلم ». ويحاجج الأئمة على ذلك بقول الرسول : « ألا من ظلم معاهدًا، أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه فأنا، حجيجه يوم القيامة » (الخراز. 2009).

إن هذه الحقوق تكشف عن بعدها السياسي والتي ترتبط بالعقد والمعاهدة، وهي تدخل في إطار المعاملات العامة بلغة اليوم، وما يترتب عنها من الحقوق التي ذكرت، في مقابل شرطين يضعهما نفس العقد وهما : الالتزام بأحكام القانون الإسلامي في غير الشؤون الدينية، ثم أداء « الجزية » فيما يتعلق بالذمي، والتي تعتبر بمثابة « الجنسية الإسلامية » للمقيم ب « ديار الإسلام» (القرضاوي. 2009). والالتزام بشروط العقد فيما يتعلق بالمعاهد. وهي مواقف عامة لا يختلف الأئمة الأربع فيها كثيرا.

إن ما يهمنا أكثر في هذا البحث هي المواقف التي ترتبط بالمعاملات والعلاقات الاجتماعية والدينية التي تنعكس على تمثلات وسلوكات الأفراد في وجودهم الاجتماعي وعلاقتهم بغير المسلم، وفي هذا الإطار نجد أن هناك تكاملا في مواقف الأئمة الأربع وبعض أتباعهم في النظر للكيفية التي ينبغي أن تكون عليها العلاقة بالمختلف دينيا. وهو الأمر الذي دفعنا للبحث في الأحكام الدينية والفتاوى المتعلقة ب " تهنئة المختلف دينيا بأعياده الدينية »، وكذا الموقف من « الترحم عليه والدعاء له عند الممات".

2.1.II. لا تجوز تهنئة أو مشاركة غير المسلم مناسباته وأعياده الدينية

التهنئة لغة هي خلاف التعزية (ابن منظور. ص 185)، وتفيد إظهار السرور والفرح للغير بمناسبة سعيدة حلت به، سواء تعلق الأمر بأمور دنيوية كتحقيق النجاح أو الربح أو زواج أو ازدياد مولود أو بأعياد وطنية ومناسبات احتفالية. أو تعلق بأمور دينية، كالأعياد والمناسبات والاحتفاليات الدينية. ويشمل التعبير عن التهنئة ما يعبر به بالألفاظ اللغوية (عبارات التهنئة)، أو المشاركة الوجدانية، أو المشاركة الفعلية في طقوس تلك المناسبة، أو تقديم الهدايا.

في الاصطلاح الفقهي الإسلامي تعني التهنئة « الدعاء بالخير للآخرين عند حصول نعمة أو زوال نقمة أو حلول زمن معين ». وفي هذا المستوى يمكن أن نميز في التهنئة، بين أمرين : ما ارتبط بالمناسبات الدنيوية، وما ارتبط بأمور الدين والطقوس الدينية. حيث نجد أن « أهل السنة والجماعة » قد فصلوا في الأمر وقدموا مواقف تتراوح بين الجواز المشروط والرفض المطلق أي التحريم القطعي.

كما ينبغي أن نميز في تهنئة « غير المسلم » من المنظور الفقهي بين تقديم عبارات السرور والفرح، وبين المشاركة في المناسبات الدينية. فإذا كانت الأولى تتراوح بين « الجواز المشروط » و « التحريم القطعي » فإن الثانية تعتبر من « أفعال الكفر »، إذ يعتبر ابن تيمية (المذهب الحنبلي) أن الشعائر الدينية لغير المسلمين تدخل ضمن طقوس « الشرك » و « الكفر »، وحرم بالقطع المشاركة فيها، معتبرا أن في ذلك تشبها بـ « المشركين » (ابن تيمية. 1998، ص 71-72)، إذ « لابد للمؤمن من أن يخالف ما تميز به هؤلاء في الباطن والظاهر، ولا يشابههم في شيء » (ابن تيمية. ص 93) معللا ذلك بكون « المشابهة في الظاهر تورث المحبة والموالاة في الباطن » (ابن تيمية. 1998). بل حرم حتى بيعهم من البضاعة ما يستخدم في الاحتفالات الدينية خاصتهم « من الطعام واللباس وغير ذلك » (السمهوري. ص 330).

وعلى نفس المنوال فإن المذهب المالكي يحرم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية، أو التشبه بطقوسهم، أو مشاركتهم إياها أو مبادلتهم الهدايا خلالها، وهو الموقف الذي اعتبره أبي عبد الله محمد العبدوي (المعروف بابن الحاج) في مؤلفه « المدخل »، من أعظم البدع المخالفة للشرع إذ يقول في الفصل المخصص « في ذكر بعض مواسم أهل الكتاب » :

« ... وبقي الكلام على المواسم التي اعتادها أكثرهم وهم يعلمون أنها مواسم مختصة بأهل الكتاب، فتشبه بعض أهل الوقت بهم فيها وشاركوهم في تعظيمها ... ويعينهم عليها ويعجبهم منه، ويدخل السرور على من عنده في البيت من كبير وصغير بتوسعة النفقة والكسوة على زعمه بل زاد بعضهم أنهم يهادون بعض أهل الكتاب في مواسمهم ويرسلون إليهم ما يحتاجونه لمواسمهم فيستعينون بذلك في زيادة كفرهم ويرسل لهم بعضهم الخرفان وبعضهم البطيخ الأخضر وبعضهم البلح وغير ذلك مما يكون في وقتهم، وقد يجمع ذلك أكثرهم وهذا كله مخالف للشرع الشريف » (الفاسي. ص 298).

إن موقف ابن الحاج (المذهب المالكي) صريح هنا في تحريم التشبه ب « مواسم » أي أعياد أهل الكتاب، والمقصود هنا اليهود والنصارى، من خلال ممارسة بعض الطقوس التي توافق هذه الأعياد، كاقتناء الملابس الجديدة، أو تقديم الهدايا لأهل العائلة، أو تبادل التبريكات. كما حرم تقديم الهدايا للنصارى واليهود، لما في ذلك من « تعظيم » لطقوسهم، ومساعدتهم على «الكفر »، واعتبر الأمر « مخالفا تماما للشرع أي لتوجيهات الدين الإسلامي، وهو من الأمور التي تغضب الله تعالى، ومن أتاها فقد اقترف ذنبا عظيما » (الفاسي. ص 298).

ومن أمثلة ذلك يذكر ابن الحاج الاحتفال ب « مولد عيسى »، مما تفعله بعض النساء في تحضير « عصيدة لابد من فعلها لكثير منهن، ويزعمن أن من لم يفعلها أو يأكل منها في ذلك اليوم يشتد عليه البرد في سنته تلك ولا يحصل له فيها دفء ولو كان عليه من الثياب ما عسى أن يكون »، وهو من البدع، ومما يشرعن من أنفسهن ما ليس في الشرع (الفاسي. ص 308).

إن ما يبرر ابن الحاج به موقفه هذا هو الآية القرآنية : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » (الممتحنة : الآية 1). وهو نفسه المبرر الذي نجده لدى ابن تيمية فيما سبق؛ ذلك أن مشاركة « غير المسلمين » وبالضبط « أهل الكتاب » أي النصارى واليهود، مناسباتهم الدينية، ومبادلتهم التهاني والهدايا، يولد في النفس نوعا من المودة والتقرب، الأمر الذي لا ينبغي أن يكون « لأعداء الله والرسول والمسلمين » حسب الآية المذكورة. فالغرض من الهدية هو إبداء المحبة والتودد لقول النبي : «تهادوا تحابوا » (الفاسي. ص 299). والتودد هنا لا ينبغي أن يكون لمن « كفر بالله » لقوله : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله » (المجادلة : 22).

ولا يخرج أتباع المذهب الشافعي عن تحريم تهنئة غير المسلمين بأعيادهم الدينية أو التشبه بهم، معتبرا في هذا الشأن كمال الدين الدميري، وهو أحد أهم أعلام وأئمة هذا المذهب، « موافقة الكفار في أعيادهم » (الدميري. 2004، ص 244) فعل موجب « للتعزير » أي للتأديب، وفي الشرع التأديب على ذنب لا حد فيه (الدميري. 2004، ص 236). نفسه الموقف الذي عبر عنه ابن حجر الهيثمي الشافعي في مؤلفه الفتاوى الكبرى قائلا : « ومن أقبح البدع موافقة المسلمين النصارى في أعيادهم بالتشبه بأكلهم والهدية لهم وقبول هديتهم فيه ... وقد قال الرسول : « من تشبه بقوم فهو منهم » (الهيثمي. ص 238-239).

أما فيما يرتبط بأتباع المذهب الحنفي فنجد تمييزا بين التهنئة فيما يرتبط بالأمور العامة « الحياة الدنيا » كالمجاملات والتزاور غير الديني، وهي تهنئة « جائزة » ما دامت خالية من أي دلالات أو معاني دينية. أما التهنئة بالشعائر الدينية فهي مكروهة ومحرمة. لما في ذلك من تعزيز لطقوس « الكفر » وتعظيم « للشرك » وتشبه بالكفار. إذ نجد لدى زين الدين بن نجيم وهو أحد أهم أعلام الحنفية خلال القرن 16م، يقول : « وَالْإِعْطَاءُ بِاسْمِ النَّيْرُوزِ وَالْمِهْرَجَانِ لَا يَجُوز، أَيْ الْهَدَايَا بِاسْمِ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ حَرَامٌ بَلْ كُفْرٌ وَقَالَ أَبُو حَفْصٍ الْكَبِيرُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى خَمْسِينَ سَنَةً ثُمَّ جَاءَ يَوْمُ النَّيْرُوزِ وَأَهْدَى إلَى بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ بَيْضَةً يُرِيدُ تَعْظِيمَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَقَدْ كَفَرَ وَحَبَطَ عَمَلُهُ » (الحنفي. 1997). وفي هذا القول تحريم وتكفير واضح لتبادل الهدايا مع غير المسلمين في أعيادهم، باعتباره فعلا فيه تعظيم لطقوسهم وشعائرهم، بل نجد أن في الفتاوى البزازية من المكروه أن يتوافق يوم صوم المسلم مع صوم النيروز : «ويكره صوم النيروز والمهرجان لأنه فيه تعظيم أيام نهينا عن تعظيمها (البزازي. 2009، ص 94).

يعد الخطاب السني واضحا في موقفه من « المختلف دينيا » والذي يعتبره « كافرا » لعدم اتباعه الرسالة المحمدية، ويحدد مصيره في « النار ». غير أنه يضمن له حقوقا أساسية في المعاملات العامة في إطار المعاهدة أو التعاقد بما لا يتعارض والتشريعات الإسلامية. أما العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الديني فهنالك « تشدد » جلي فيما يخص الطقوس الدينية، إذ تجمع المذاهب الأربعة ل « أهل السنة والجماعة » على تحريم المشاركة في الشعائر الدينية لغير المسلمين، وتدعو لمقاطعتهم إياها، وتعتبر كل سلوك من شأنه أن «يعظم » طقوسهم أو يساعدهم على ممارستها والاحتفال بها كالتهنئة أو تبادل الهدايا أو التشبه بها فعلا من أفعال « الشرك » و«الكفر » الذي ينبغي رفضه وإدانته. ويعود تبرير هذا الموقف لكون الدين الإسلامي هو «الرسالة الأعظم » التي ينبغي أن تتميز وتصان وتتخذ منهجا في الحياة والتعبد، مقابل باقي الشعائر التي تعتبر « طقوسا للشرك والكفر والضلال ».

3.1.II. في التعزية : لا يجوز الترحم على « غير المسلم » أو الدعاء له

للموت في الدين الإسلامي مكانة خاصة، تؤطرها أحكام وطقوس محددة. خصص لها « أهل السنة والجماعة » فصولا وكتبا عدة تناولت « أحكام الجنائز » و « حقوق الميت » وغيرها من الأمور المتعلقة بشعائر التعزية والدفن.

ومن جملة ما تم التنصيص عليه بخصوص الحقوق الشرعية الواجبة للميت نجد : « الغسل والتكفين والصلاة عليه، ودفنه وحمل جنازته واتباعه » (الزحيلي. 1989، ص 457). قد تختلف هذه الحقوق/الطقوس حسب سياق الوفاة أو سببه، غير أنها تمثل حقوقا عامة في حالة الوفاة الطبيعية للمسلم.

ولا تنتهي حقوق الميت المسلم بمجرد وفاته ودفنه، بل تستمر من خلال واجب « الدعاء له بالمغفرة والرحمة » الأمر الذي ينص عليه الحديث النبوي بالقول : « إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَـدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (مسلم. 1991، ص 1255). والدعاء هنا بمعناه الفقهي يدل على الترحم عليه وطلب المغفرة له. وقد « بين ابن القيم أن أرواح الموتى تنتفع من سـعي الأحياء، بأمرين : الأول ؛ ما تسـبب إليه الميت في حياته. والثاني ؛ دعاء المسـلمين له، واستغفارهم ... » (القحطاني. 2006، ص 388).

ومن الأمور التي تبدي حق الدعاء للميت المسلم، ما روي عن الرسول خلال صلاة الجنازة/الدفن: « عن عوف بن مالك قال : سـمعت رسـول الله ... يقول في الصـلاة على جنازة : اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه وعافه وأكرم نزله ووسـع مدخله ... » (مسـلم. ص 662-663). وفي قول آخر للرسـول عن الصـلاة على الميت المسـلم قال : « أخلصـوه الدعاء » (مالك. 1994، ص 251).

كما خصـصـت عبارات محددة في تقديم العزاء لأهله، تتضـمن أدعية للمتوفي وترحما عليه، إذ « تتحقق التعزية بكل تعبير حسن يُذَكِّر بالصبر ... ويشتمل على الدعاء للمتوفى وأهله، وهذا هو المنصوص عليه في كتب المذاهب الأربعة المتبعة ». ومن أبرز ما يقال خلال هذه المناسبة : « عظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك... » أو « غَفَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَيِّتِكَ وَتَجَاوَزَ عَنْهُ وَتَغَمَّدَهُ بِرَحْمَتِهِ... » (نظام الدين. 2000، ص 183).

الواضح فيما سبق أن هناك اهتماما خاصا بطقوس الموت لدى المسلم، وبخاصة فيما يرتبط بالدعاء له والترحم عليه بعد الممات. فهل يحظى المتوفى « غير المسلم » بنفس الاهتمام؟ وهل يحق الدعاء له والترحم عليه؟

تجمع المذاهب الأربعة « لأهل السنة والجماعة » على عدم جواز الدعاء للميت « غير المسلم » أو الترحم عليه، لكونه مات «كافرا». بل حتى إنه يحرم من الحقوق التي للميت المسـلم ما عدا « حق الدفن » ولكن بشـروط محددة ؛ وهي أن لا يغسـل جسده، ولا يصلى عليه، ولا يستقبل به القبلة، ولا يتبع في جنازته. ويذهب المنطق الفقهي في هذا الشأن أبعد، إذ لا يجيز للابن أن يغسل أباه إن مات «كافرا » أو يتبعه في جنازته، أو يدخله في قبره إلا اضطرارا للخوف من أن « يضيع ». قال ابن القاسم قال مالك (والمقصود هنا مالك بن أنس) : « لا يغسل المسلم والده إذا مات الوالد كافرا، ولا يتبعه ولا يدخله قبره إلا أن يخشى أن يضيع فيواريه » (مالك. ص 187).

أما تعزية أهل الميت « غير المسـلم » فإنها تختلف في عباراتها ودلالتها عن تعزية المتوفى المسـلم، إذ ينص الفقه السـني في هذا الباب على جواز تعزية أهل الميت « الكافر » لكن بشـرط أن يختار المعزي مفردات التعزية بدقة، على ألا تتضـمن ألفاظا محظورة شـرعا، أو دعاء بالترحم مما يدعى به للميت المسـلم. إذ « لا يدعو للذمي بالمغفرة » (البرهانبوري. ص 348). ومن

العبارات التي جاءت في تعزية أهل الميت « الكافر » : « أخلف الله عليك، ولا نقص عددك (...) ويكره الجلوس للتعزية، لأن ذلك محدث والمحدث بدعة » (النووي. 1980، ص 275).

فغاية التعزية هنا تستهدف مواساة أهل الميت ولا تطال الميت ذاته بأي شيء. كما هو الشأن مع الميت « المسلم » الذي تتخذ مناسبة العزاء فرصة للدعاء له بالرحمة و « المغفرة ». وعبارة « ولا نقص عددك » في التعزية يقصد بها « زيادة عددهم لتكثر جزيتهم » (ابن قدامة. 1997، ص 406).

إن الموقف السني من تعزية الميت « الكافر » ينقسم لشقين واضحين ؛ الأول فيه إجماع على جواز « التعزية » لأهله، وهو ما يدخل ضمن العلاقات والمعاملات الاجتماعية، لما في ذلك من « إحسان وحسن معاملة »، و « تأليف لقلوبهم » سعيا لدعوتهم للإسلام. غير أن الشق الثاني يضع شروطا وحدودا محددة، ينبغي أن ترافق هذه التعزية، وما يرتبط بالمعتقد، ومن أهمها ألا تتضمن عبارات دينية « تعظم » دين المتوفي، أو تدعو له بالرحمة و « المغفرة »؛ ذلك أن هذه العبارات تبقى حصرا على المتوفى »المسلم » اتباعا لما جاء به القرآن في قوله : « مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » التوبة : 113. وهي آية صريحة في تحريم الاستغفار لغير المسلمين.

الخلاصة

إن الخطابين القرآني والسني يتضمنان من المفردات والدلالات والمعاني ما يكفي لرسم صورة المختلف دينيا، والتي تقوم أساسا عن تمييز وتقابل واضح بين المسلم وغير المسلم، قابلة لتكون محط تأويل وقراءات عدة، نظرا لمرونتها اللغوية، وعمومية رسالتها، غير أن لهذه المرونة والعمومية وجهان. الوجه الأول محط تأويل يدعو للانفتاح، والحوار، والتسامح، وتقبل الآخر في عقيدته واختلافه. فيما الوجه الثاني مصدرا للتكفير والإقصاء. وهو ما قد تكون له عواقب على العلاقات الإنسانية عندما يتحول لأداة بناء وتوجيه لهذا النمط من الوعي، فيتحول من مجرد خطاب في العقيدة والتوجيه الديني إلى خطوات عملية تتجسد في سلوكات ومواقف اجتماعية ضد الغير، سلوكات « متطرفة » رافضة كلية لوجوده أو ظهوره أو هويته العقدية.

إن وقوفنا على الآيات والأحاديث والآراء الفقهية التي تصف المختلف دينيا والتي تكفره وتصور مصيره التراجيدي، لا يعني أن القرآن والسنة يدعوان لإقصاء هذا المختلف دينيا على وجه التعميم والإطلاق، وإنما لنميز بين أمرين اثنين : الأول وهو إظهار مدى مرونة الخطاب الديني وقابليته للتأويل حسب الخلفيات والأهداف والغايات. والثاني هو مدى إمكانية الترويج للخطاب «المتطرف » إذا ما وجد بيئة مناسبة لاستقباله واحتضانه دون تمحيص أو تفكير نقدي، أو وضعه ضمن سياقاته التاريخية، أو مقارنته بالخطابات التي يمكن أن تشكل « نقيضا » أو بديلا موجها نحو القبول والتعايش لا الرفض والإقصاء.

يتعلق الأمر باستغلال المتاح والممكن في إطار أرضية خصبة متشبعة بوعي تقديسي يستهلك كل ما يرتبط بالخطاب الديني فقط لأنه مغلف بالقدسية، وصادر عن شخص أو جماعة تجيد استغلاله وتوظيفه.

وقد صارت الأنترنت اليوم فضاء لبناء « الوعي الديني »، وتوجيه المتدين فكريا وسلوكيا. وفي ظل غياب فكر نقدي يشكل أرضية لتمحيص و « فلترة » وتصفية تدفقاته الواسعة، فقد أضحت المعلومة الدينية رائجة دون معايير تحدد خلفياتها وتضبط غايات وأهداف مروجيها. مما سهل الاستهلاك الديني لجرعات « تكفيرية » و « إقصائية » وغيب إلى حد ما « خطاب الانفتاح والتسامح » وأضحت الأمور تنبئ ب « تطرف ديني رقمي » صارت معالمه واضحة في مواقف وأفعال وردود أفعال الشباب اليوم.

إن من بين ما توصلنا إليه في هذا البحث وهو أن جذور « الإقصاء » و « التطرف » التي باتت جلية على الفضاء العام الواقعي والرقمي، تجد أساسا لها في « خطاب التكفير » الذي أسست له بعض المذاهب والفتاوى الدينية، التي مجدت وقدست الخطاب الديني في نقل وتأويل حرفي للنص كما هو الشأن مع « المذهب الحنبلي » وفتاوى ابن تيمية، والتيار السلفي الذي قاده محمد بن عبد الوهاب.

صحيح أن هناك الكثير من المذاهب الفقهية التي دعت ودافعت عن « دين الوسطية والاعتدال » وأعملت التوفيق بين «النقل والعقل » ودعت لتجنب التكفير كما هو الشأن مع المذهبين الأشعري، والمالكي الذي تروج له الدولة باعتباره المذهب الرسمي، إلا أن هذا الأمر لا يجد انتشارا كبيرا على صفحات التواصل الاجتماعي، إذ يظل الترويج ل « خطاب الكراهية » هو المتسيد بين مختلف الشباب المتدين، حيث لا مجال بالنسبة لهم للتسامح فيما يرتبط بالمقدس، وما يدل على ذلك هو كمية الأحاديث والآيات المبتورة من سياقها والعبارات الدينية التي يتم استنساخها ولصقها في التفاعل مع القضايا الاجتماعية التي تثار من حين لآخر على هذه المنصات.

إننا نقر في آخر هذه الاستنتاجات أن جذور الرفض و « التطرف الديني الرقمي » تجد أساسا لها في طبيعة « الخطابات الدينية » التي تروج بخلفيات « متطرفة » في تأويل حرفي للنص الديني، سواء عبر ما هو مؤسساتي وبوعي أو بدون وعي من خلال التنشئة الدينية المدرسية، أو من خلال « خطاب الدعوة » والذي تكيف مع الفضاء الرقمي وما تتيحه التكنولوجيات الحديثة من إمكانات لبث خطابها أمام « جمهور رقمي » واسع بالمقارنة مع « جمهور المسجد ». وأن ما يسر بلوغ رسائله والتشبع بها وإعادة إنتاجها هو وجود خطاب ديني مرن قابل للتأويل والتوظيف، وكذا بيئة حاضنة من العقول تستهلكه دون تبين من أسسه وسياقاته وخلفياته وغاياته.

المراجع

بالعربية:

الألباني، محمد ناصر الدين. (1988). صحيح الجامع الصغير وزيادته (الطبعة الثالثة). بيروت، لبنان: المكتب الإسلامي.

الألباني، محمد ناصر الدين. (2000). صحيح سنن الترمذي : كتاب الإيمان. الرياض، السعودية: مكتبة المعارف.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن الجعفي. (2016). صحيح البخاري. كراتشي، باكستان: جمعية البشرى الخيرية.

البرهانبوري، نظام الدين. وآخرون. (2000). الفتاوى الهندية المعروفة بالفتاوى العالمكيرية : في مذهب الإمام الأعظم أبي حنفية النعمان، الجزء الأول : كتاب الصلاة/باب في الجنائز. بيروت، لبنان دار الكتب العلمية.

البزازي، محمد بن محمد بن شهاب. (2009). الفتاوى البزازية: الجامع الوجيز في مذهب الإمام الأعظم أبي حنفية النعمان، الجزء الأول : كتاب الصوم. بيروت، لبنان : دار الكتب العلمية.

بن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. (1998). اقتضاء الصراط المستقيم لمخافة أصحاب الجحيم. الرياض، السعودية: دار اشبيليا.

بن عاشور، محمد الطاهر. (1984). تفسير التحرير والتنوير: الجزء الخامس. تونس، تونس: الدار التونسية للنشر.

بن قدامة، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد. (1997). المغني، الجزء الثاني : كتاب الجنائز (الطبعة الثالثة). الرياض، السعودية: دار عالم الكتب.

الحنفي، محمد بن حسين بن علي الطوري القادري. (1997). البحر الرائق شرح الدقائق، الجزء الثامن: تكملة كتاب البحر الرائق شرح الدقائق. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

الخراز، خالد. موسوعة الأخلاق. (2009). الكويت، الكويت: مكتبة أهل الأثر.

الدميري، كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى. (2004). النجم الوهاج في شرح المنهاج. جدة، السعودية: دار المنهاج.

الزحيلي، وهبة. (1989). الفقه الإسلامي وأدلته، الجزء الثاني : تتمة الصلاة، الصيام والاعتكاف، الزكاة (الطبعة الثالثة). دمشق، سوريا : دار الفكر.

السمهوري، رائد. (2024). ابن تيمية التاريخي والمستعاد: مقاربة تاريخية تحليلية في موقف ابن تيمية من المختلف الديني. بيروت، لبنان: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

الطيب، أحمد. (2019). أهل السنة والجماعة (الطبعة الثانية). القاهرة، مصر : دار القدس العربي .

العراقي، زين الدين. (سنة النشر غير معروفة). طرح التثريب في شرح التقريب (الجزء الثاني) : (بدون عنوان جزئي). بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.

الفاسي، محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي. (سنة النشر غير معروفة). المدخل. القاهرة، مصر: دار التراث.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف. (2006). أحكام الجنائز: مفهوم واغتنام ومواعظ وآداب وحقوق وصبر واحتساب وفضائل وأحكام في ضوء الكتاب والسنة. المدينة النورة، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

القرشي، جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي. (2002). زاد المسير في علم التفسير (الطبعة الثالثة). بيروت، لبنان: دار ابن حزم.

القرضاوي، يوسف. (1992). غير المسلمين في بلاد الإسلام. القاهرة، مصر : مكتبة وهبة.

مالك، بن أنس الأصبحي. المدونة الكبرى، الجزء الأول : كتاب الجنائز. (1994). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

النووي، محي الدين بن شرف. (1980). كتاب المجموع : شرح المهذب للشيرازي، الجزء الخامس : باب التعزية والبكاء على الميت. جدة، السعودية: مكتبة الإرشاد.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري. (1991). صحيح مسلم، الجزء الأول : كتاب الوصية. القاهرة: دار الحديث.

الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن حجر المكي. (سنة النشر غير معروفة). الفتاوى الكبرى الفقهية، الجزء الرابع: باب الردة. مصر: مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي.

باللغة الأجنبية:

Vernant, J.-P. (2004). Mythe et société en Grèce ancienne. La Découverte.

https://doi.org/10.3917/dec.verna.2004.01.

Merleau-Ponty, M. (1945). Phénoménologie de la perception. Paris: Gallimard.

المقالات العربية

الطاهري، محمد مهدي. (2025، يناير). مقدمات لتحليل الخطاب القرآني : مفاهيم ومقاربات. مؤسسة مؤمنون بلا حدود. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

: https://www.mominoun.com/pdf1/2025-01/6789987f8b3cb2098190319.pdf

البدري، توفيق. (2018، أكتوبر). مفهوم الأُمَّة وأوصافها في القرآن الكريم. مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، مج24، ع94. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

https://doi.org/10.35632/iokj.v24i94.149

حمدي ،أحمد، (2020). مصطلح أهل السنة والجماعة وعلاقته بالأشاعرة والماتريدية. مجلة الجمعية الفلسفية المصري. مج29، ع29. تم الاسترجاع من الرابط التالي:

http://search.mandumah.com/Record/1149956

لعلا، حكيمة. العياشي، الدغمي. (2025، مارس). الهوية الدينية للشباب المغربي وموقفهم من المختلف دينيا على الفايسبوك. مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل. مج7، ع30. تم الاسترجاع من الرابط التالي103761=https://democraticac.de/?p :

المقالات الأجنبية

BARRY, A. Ousmane. (2002). « Les bases théoriques en analyse du discours », Documents de la Chaire MCD. vol. 159. p 1-35.

Zhang, L. (2025). « The digital age of religious communication: The shaping and challenges of religious beliefs through social media ». Studies on Religion and Philosophy, 1(1), 25-41. https://doi.org/10.71204/de63mn10

المعاجم والموسوعات

موسوعة المصطلحات الإسلامية، عن الموقع الإلكتروني :

https://terminologyenc.com/ar/browse/term/7298

ابن منظور، محمد. لسان العرب (المجلد الأول). (سنة النشر غير معروفة). بيروت، لبنان: دار صادر.

المؤسسات حكومية

دار الإفتاء المصرية،]موقع إلكتروني[، متوفر على الرابط التالي<https://www.dar-alifta.org/ar/fatwa/details/17874> :

مؤسسة محمد السادس لنشر المصحف الشريف. المصحف المحمدي الرقمي برواية ورش .QM 1.0.8 الرابط الرقمي على الأنترنت https://app.al-mushaf.com/ :

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. (2009). التفسير الميسر. المدينة المنورة، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

مصادر على الأنترنت

المقدسي، أبي محمد عاصم المقدسي. (سنة النشر غير معروفة). هذه عقيدتنا. تم الاسترجاع من الرابط التالي :

https://archive.org/details/doctor25250_gmail_20170317_1837

الموقع الإلكتروني المكتبة الشاملة: https://shamela.ws/book/9885/99